

النار دلالاتها الفنية والموضوعية في الشعر الجاهلي

أ. م. د. كامل عبد ربه الجبوري

جامعة القادسية - كلية التربية

المقدمة

إذا كان الشعر هو الوثيقة الصادقة التي تفصح عن مشاعر وأحاسيس وعواطف قائله وتكشف عن المثل والقيم والطبائع والعادات والتقاليد، فإن الشعر الجاهلي يعد مرآة الحياة الجاهلية والصور الصادقة لعادات العرب وتقاليدهم ومثلهم، فيه من القيم الفنية والصور الجميلة الرائعة والمعاني الدقيقة الموحية ما يجعله يعد بحق ذروة الشعر العربي، وقد بقي اثر هذا الشعر واضحاً في شعر العصور المتأخرة وما زال له سلطانه في نفوس قارئيه وسامعيه لما فيه من اصالة وجمال في التعبير ودقة في المعاني ونضج فني وموسيقي ولغوي كبير.

وقد نظر بعض الدارسين إلى موضوعات هذا الشعر نظرة تجزئية جعلت منه وحدات منفصلة غير متصلة، فكتبوا في أشياء كثيرة منه ومازال القسم الآخر منها لم يكشف عنه. والقارئ المتفحص لهذا الشعر يجد نفسه أمام إنسان أدق بصيرة وأنفذ فكراً وأرقى تصوراً مما كان يتوهمه بعضهم في البدوي الجاهلي، فقد نظر إلى الكون بشمولية وأحس الحياة وحدةً وتكاملاً، فلم يترك جزئية من جزئياتها إلا وصفها وأشار إليها.

ومن هذه الزاوية دلفت إلى البحث في النار ودلالاتها في النصوص الشعرية الجاهلية وهي زاوية خارجية تشبه الزاوية التي يعتمدها المصور في لوحاته، بيد إنها تكشف في النهاية عن تصور الشعراء الجاهليين لفكرة النار وهو تصور كما سيثبت هذا البحث يدل على ان الشاعر الجاهلي قد استوعب جزئيات الوجود المتناثرة واستنتج منها معاني كلية وأفكاراً موحدة تكشف عن وعي الشاعر بالوجود وتبعد عنه النظرة الضيقة المحدودة لهذا الوجود التي اتهم بها.

ومما زاد من قناعاتي في الكتابة في هذا الموضوع هو نظرة القدماء إلى النار من زاوية واحدة تمثلت في علاقتها بمعتقدات العرب الفكرية واساطيرهم القديمة، واغفالهم لجوانب كثيرة، منها تجاوزهم النصوص الشعرية وما تشتمل عليه من دلالات ومضامين فنية رائعة واكتفاؤهم ببعض الأبيات في مجال الاستشهاد، اما المحدثون ففي حدود اطلاعي المتواضع ولحد الآن لم اعثر على دراسة مستقلة تناولت هذا الموضوع من بعيد أو قريب وهكذا اقتضت هذه الدراسة اعتماد المنهج العلمي القائم على استقراء النصوص وتحليلها بوصفها أساساً ومنطلقاً في الحكم على الشعر الجاهلي، ولمعرفة العناصر والرموز الفنية والفكرية في القصيدة العربية القديمة التي شكلت النار ودلالاتها احدى أركانها، ومن ثم تحكيم المصادر واستنطاقها مع الاستضاءة بأراء القدماء للخروج بقناعة علمية قد تقع في إطار ما قيل حيناً ولم يقل في أحيان كثيرة.

لقد استخدم الشعراء الجاهليون النار وألفاظها في أشعارهم واختلفت دلالتها باختلاف الموضوعات الشعرية التي وردت فيها كما اختلفت اسمائها واستخداماتها في الحياة العربية قبل الإسلام، فلقد عرف الجاهليون أنواعاً عديدة من النيران استخدموا كل نوع منها استخداماً معيناً تعبيراً عن حاجة ملحة، حيث تكون النار هي الطريقة المثلى في هذا الاستخدام، وقد ذكر القدماء ان أول من أوقد النار بالمزدلفة حتى يراها من يندفع من عرفة (فهي توعد إلى الآن) (قصي) ⁽¹⁾ وهي احدى نيران العرب، ونيران العرب هي نار الاستمطار ونار التحالف ونار الالهة للحرب ونار الطرد ونار الحرس ونار السعالي ونار الأسد ونار القرى ونار السليم ونار الفداء ونار الوسم.

نار القرى:

وهي من أعظم نيران العرب فكانوا يتفاخرون بينهم بكثرة اشعال هذه النار أو عظمتها أو كثرة من يقصدها. وكانوا يوقدونها على المرتفعات حتى يراها أكبر عدد من المسافرين أو ممن ظلوا الطريق فيقصدونها وربما أضافوا إليها المنديل الرطب ^(*) ونحوه مما يتبخر ليهتدي به العميان، قال ابو زياد الإعرابي:

له نازٌ تشب بكل ریح
إذا الظلماء جلت البقاعا
وما إن كان أكثرهم سواماً
ولكن كان أرحبهم ذراعا (2)

نار الاستمطار:

ومما يندرج تحت شعيرة الكرم التي كانت في نظرة العرب أقدس الشعائر وأبرزها نظراً لطبيعة البلاد الصحراوية وما يحل بها من مواسم الجفاف والقحط مما دفع الكثير منهم إلى أن يهرع إلى الآلهة متضرعاً باستنزال المطر عليهم وذلك من خلال أدعيتهم وشعائرتهم وقرابينهم، وتتضح تلك الممارسة في أوضح تفاصيلها في نار الاستمطار، وكان من معتقداتهم إنهم إذا اجذبوا ولم ينزل المطر يجمعون ما يقدرون عليه من البقر ويعقدون في أذناها السلع والعشر (2*) ويصعدون بها إلى الجبل ويأخذون بالدعاء والتضرع لاعتقادهم ان ذلك من أسباب السقيا (3)، وقد سجل بعض الشعراء هذا المعتقد في شعره قال أمية بن أبي الصلت:

سَلَع ما ومثله عُشْر ما
عائلٌ ما وكالت البيقورا (4)

كما سخر أحد الأعراب بهذا العمل وذكر بأن المطر بيد الله ينزله متى شاء

فقال:

شفعنا ببيقور إلى هاطل الحيا
فلم يغن عنا ذاك بل زادنا جدبا
فعدنا إلى رب الحيا فأجارنا
وصيرَّ جذب الأرض من عنده خصبا (5)

بيد ان ما يهمننا من هذه النار هنا هي صورتها التي ارمضت نفوس بعض العرب ودعتهم إلى محاكاتها لأغراض شتى أبرزها الإيقاد لاستمطار الخير ويبدو ان اشعال هذه النار كان في الأصل محاكاة لعبادة قديمة تقرب الأبقار قرباناً للآلهة (6) وذلك ما أودع تفاصيله الشاعر الورل الطائي في قوله:

درّ درّ رجال خاب سعيهم

يستمطرون لدى الأزمات بالعشر

أجاعل أنت بيقوراً مُسلعةً

(7)

ذريعة لك بين الله والمطر

ويبدو ان كثيراً من الشعوب الأخرى كانت تستخدم النار وسيلة لمنع سقوط المطر فيما عدا العرب (8) ولعل مرد ذلك هو النظرة القديمة للشعوب مما يندرج تحت أساطير العالم القديم ولا عجب ان نظفر بمعتقدات أسطورية عن العرب وتقديسهم للجبل والنار وما شابه ذلك ولعل من أشهرها ذلك الجبل المسمى (بأبي قبيس) فقد ورد في أحاديث العرب عنه قولهم (ان ادم كناه بذلك حين اقتبس منه النار التي بأيدي الناس) (9)، ولعل ذلك يفسر لنا دواعي ممارسة اهل مكة لشعائر نار الاستمطار في هذا الجبل وقيل في ذلك أشياء أخرى (10).

اما نار الالهة للحرب: فهي من النيران العظيمة عند العرب وكانوا إذا أرادوا حرباً أو توقعوا جيشاً عظيماً وأرادوا الاجتماع أوقدوا لهلاً على جبلهم ناراً ليبلغ الخبر أصحابهم (11) وربما أوقدوا نارين دلالة على عظمة الأمر وخطره، وسبب إيقادهم النار على الجبل ليكون ذلك ادعى لرؤيتها من قبل حلفائهم ويسارعوا لنصرتهم وقد أشار إلى هذا عمرو بن كلثوم (12)، كما سجل هذه الظاهرة الشاعر الفيزدق حين قال:

لولا فوارس تغلب لبق وائل

نزل العدو عليك كل مكان

ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا

نارين اشرقك على النيران (13)

وقد تحالفوا على النار كما تحالفوا على غيرها وكان من عاداتهم انهم إذا عقدوا حلفاً بينهم أوقدوا ناراً وتحالفوا عليها، ويكرهون عند المحالفة منافع النار ويوعون الله عز وجل بالحرمان والمنع من هذه المنافع للذي ينقض الحلف ويجعل العهد وقال ابو هلال العسكري (وانما كانوا يخصون النار بذلك دون غيرها من المنافع لان منفعتها تختص بالإنسان يشركه فيها شيء من الحيوان) (14) ويقولون في الحلف: الدم الدم، الهدم

الهدم، ((أي ما هدم لكم من بناء أو شأن فقد هدم لنا، وما أريق لكم من دم فقد أريق لنا، لا يزيد طلوع الشمس الآشداً، وطول الليالي إلا مداً وما بل البحر صوفة وما أقام رضوى في مكانه - ان كان جبله م رضوى - وكل قوم يذكرون جبله م أو المشهور من جبالهم، وربما دنو فيها حتى تحرقهم))⁽¹⁵⁾.

وكانت لهم نار باليمن لها سدنة فإذا تفاقم أمر بين قوم فحلفوا بها انقطع ما بينهم من تعاد، وسموها الهولة والمهولة، وكان سادنها إذا أتى برجل هيبه الحلف بها، وكان لها قيم يطرح فيها الملح والكبويت فإذا وقع فيها استشاطت وبتفضت فيقول له هذه النار قد تهددتك، فأن كان مذن باً رئل وان كان بويئاً حلف⁽¹⁶⁾. وقال الطبري ((وكان باليمن فيما زعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه. وقد أشار إليها الكميت في العصر الأموي:

لهولة ما أوقد المحفوق

لدى الحالفين وما هولوا

وقال: هم حرمونا بالعمى هوة الردى

كما شب نار الحالفين الم هوّل⁽¹⁷⁾

وقد استعان النابغة ببعض القصص، وأشار إلى نار الحلف لم غلجة بعض الشؤون القبلية، وذلك لما حدث بينه وبين يزيد بن سنان المري بسبب (المحاش)^(3*) ومعاقبة لبني (مرة) على استنثارهم وتحالفهم عليه وعلي قومهم واجتماع قومهم عليه مع طلب حوائجهم عند الملوك⁽¹⁸⁾ ومن نيرانهم نار الحرثين وتسمى نار الحرس وي زعم انها كانت ببلاد عبس وسميت ايضاً بنار خالد بن سنان وهو احد بني م خزوم، فإذا كان الليل فهي نار تسرع وفي النهار دخان يتقع وربما تنر منها عنق فتحرق كل شيء وكانت طيء ترعي ابلها على ضوئها من مسيرة ثلاثة ايام، ويقال ان خالداً أطفأها إذ حفر لها ودفنها وكانت معجزة له، ((واهل النظر يركرون بنوته ويقولون انما كان اعرابي من اهل البادية))⁽¹⁹⁾. وقال احد الشعراء يذكر هذه النار:

كنار الحرثين لها زفي

تصم مسامع الرجل السميع⁽²⁰⁾

ونار أخرى تسمى نار المسافر وقد تعرف ايضاً بنار الطرد⁽²¹⁾، وكانوا يوقدون خلف

المسافر وخلف الضيف الثقيل الذي لا تتحب عودته ويقولون في الدعاء أبعد الله
واسحقه وأوقد النار خلفه، قال الشاعر:

وحجة أقوام حملت فلم يكن

لتوقد ناراً خلفهم للتندم⁽²²⁾

أما نار الوسم فقد كانت العرب تسم بها إبليها وأنعامها لكي تعرفها إذا سرقت ويعرف
بها كرم ابل القوم ولؤمها وكانت لها تسميات خاصة فكان يقال للرجل: ما نار إبلك؟
فيقول ضماط أو علاط^(4*)، أو كذا وكذا وهي التي قال فيها الشاعر:

تسألني عن نارها ونتاجها

وذلك خير لا يحيط به الطمش⁽²³⁾

وقرب بعض اللصوص أبلأ للبيع فقيل له: ما نارك وقد اغار عليها من كل
وجه وإنما سئى عن ذلك لانهم يعرفون ميسم كل قوم وكرم ابلهم من لؤمها فقال:

يسألني الباعة اين نارها

إذ زعزعوها فسمت ابصرارها

كل بخار آيل بخارها

وكل دار لأناس دارها

وكل نار العالمين نارها⁽²⁴⁾

وقال اخر:

يشفون لا أبالهم بالنار

والنار قد تشفي من الأوار⁽²⁵⁾

يقول لما رأوا نارها اخلو له االمنه ل فشربت لعز ا صح ابها، وهناك نار يوقد ها
الصريادون للظلمة وتعشي اذا نظرت اليها ويطلب به ا ايضاً بيض النعالم وتسمى نار
الصيد قال الطفيل الغنوي:

عوازب لم تسمع بتوح مقامه

ولم تو زاراً ثم حول محرم

سوى نار بيض او غزال بقفة

اغن من الخنس المتاجر توأم⁽²⁶⁾

اما النار التي نشب للسعالى والجن والغيلان فهو شيء يقع للمتغرب والمتنفر
ويزعمون ان الجن والسعالى والغيلان كانت توقد بالليل ناراً للعبث وإضلال السابله
كي يقصدها الذين يبرهنون ليلاً في الصحراء ظناً فيهم انها للقرى قال ابو المطران
عبي بن أيوب:

لله در الغول اي رفقة

لصاحب قفوف خائف متنفر

أرنت للجن بعد لحن ووقدت

حوالي نيراناً تبوح وتزهر⁽²⁷⁾

ومن نيرانهم أيضاً نار الزح فتين وتعرف بنار ابي سريع وأبو سريع هو نبلت
العرفج وانها عرفت بهذا الاسم لأن نبات العرفج إذا أوقدت فيه النار شبت بشكل،
سريع مما يضطر الذي يقربها لان يزحف ابتعاداً عنها ثم لا يلبث ان يجمد بشكل
سريع أيضاً فيضطر الشخص لان يزحف دانئياً منها لذلك سميت بنار الزحفتين، قال
الشاعر:

وسوداء المعاصم لم يغدر

لها كفلا صلاء الزحفتين⁽²⁸⁾

كما عرف العرب أنواعاً أخرى من النيران، منها نار السليج وكانت توقد للملدوغ
إذا سهر وللمجروح إذا نزع وللمريض المضروب بالسيط ولمن عضه الكلب لئلا
يناموا فيشتد بهم الامر حتى يؤديهم إلى الهلكة، قال الشاعر:

أبل ثابت ان إذا يسبقوننا

سرركب خيل او يئبه نائم

ندامية تعشي الفراش رشانها

يبيت له ضوء من النار جاحم⁽²⁹⁾

ونار الفداء وذلك ان الملوك اذا سبوا القبيلة خرجت اليهم السادة للفداء
والاستنهاب، فكرهوا ان يعرضوا النساء نهاراً فيفتضحن، وفي الظلمة فيخفي قدر ما
يحسبون لأنفسهم من الصفى فيوقدون النار لعرضهن، قال الأعشى:

ومنا الذي اعطاه في الجمع ربّه

على فاقةٍ وللملوك هبائها

نساءً بني شيبان يوم اواره

(30)

على النَّارِ إذ تجلى له فتياتها

ونار اليراعة وهو طائر صغير إذا طار بالليل حسبته شهاباً والطرب من الفراش إذا طار بالليل حسبته شرارة وتقول العرب: اكذب من تلمع وهو حجر يلمع من بعيد وإذا دنوت منه لم تر شيئاً⁽³¹⁾.

ونار الأسد التي يوقدونها للتحويل عليه وشغله عن السابلة لان الأسد إذا رأى النار ظل يحدق إليها فيشغله ذلك عن الناس، ونار الحباحب وهي كل نار لا أصل لها مثل ما ينتدح من نعال الدواب وغيرها، قال الشاعر:

نارٌ يعودُ بها للعود جدّته

(32)

والنارُ تلعجُ عيداناً فتحترق

واخلص مما تقدم في هذا التمهيد إلى ان العرب في جاهليتهم كانت لهم مفاهيمهم الفكرية ومعتقداتهم الدينية والأسطورية التي شكلت النار محوراً من محاورها الفنية والموضوعية - واستمر الاعتقاد بنظرية العرب إلى النار حتى بعد ظهور الإسلام وقد خص القرآن الكريم النار وألفاظها بالكثير من آياته الكريمة فقد ذكرها في مائة وخمسة وأربعين آية، نذكر منها قوله تعالى: ((أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَاعاً لِلْمُؤْمِنِينَ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ))⁽³³⁾.

فذكر الله منفعتها وحسن عائدها في الدنيا والدين فاما منفعتها في الدين فإنها تذكر بما اعد الله تعالى لعصاته منها في دار العذاب فيكون ذلك مزجراً لمن تذكر ومنهاة لمن تبصر، واما منافعها في الدنيا وكثرة مرافقها فغير مجهولة، فقد خصّ الإنسان بخيرها دون غيره من سائر الحيوان، فليس يحتاج إليها سواه وليس به غنى عنها في حال من الأحوال، أما موقف الشعر الجاهلي من النار ومدى انتفاعه بدلالاتها فذلك ما سنكشف عنه في بنية القصيدة الفنية والموضوعية في الصفحات القادمة من البحث إن شاء الله.

دلالة النار في بنية القصيدة الفنية

لقد حظيت القصيدة الجاهلية من بين ما وصل إلينا من نصوص العصر الجاهلي باهتمام القدماء والمحدثين وتعددت الدراسات والبحوث حتى أصبحت معياراً للحكم على الشعر والشعراء، وتجنباً للاطالة والتكرار في الحديث عن هذا الموضوع وما قيل فيه من آراء، فإن ما يهمنا هو صيغة القصيدة التي تحددت بمراحل ثلاث هي الافتتاح والرحلة والغرض: وقد خضعت لمنهج فني حذا فيه المتأخر حذو المتقدم. وتبدأ فيه القصيدة بلوحات متداولة هي النسيب والطلل أو الظعن أو الحوار أو الخمر أو الشيب أو مطالع أخرى يتخذها الشعراء منفذاً للحديث عن الماضي وذكرياته ثم تخلص إلى الرحلة على ناقة أو فرس يحشد لها الشاعر من صفات القوة والصلابة والسرعة ثم يعمد إلى تشبيه ناقته بأحد وحش الصحراء في مشهد قصصي يكشف فيه عن صراع هذا الحيوان مع الطبيعة أو الإنسان ومن ثم ينفذ بعد ذلك إلى الغرض لمعالجة التزامه الاجتماعي في الهجاء أو المدح أو الرثاء أو الفخر، وقد حظي افتتاح القصيدة الجاهلية باهتمام الباحثين، وقد شكلت النار أو ما تدل عليه أو ما تخلفه من رماد احد عناصر هذه الافتتاحات التي يقصد بها الطلل.

لوحة الطلل: يشير الاستقراء الدقيق لعشرات القصائد الجاهلية التي افتتح أصحابها بالطلل إلى حقيقة كونه منفذاً رمزياً مهنياً لتوفير المناخ النفسي الملائم للتجربة الشعرية من خلال انفتاح تفاصيله على الحدث الموضوعي، فالشاعر الجاهلي لم يكن يعيش بمعزل عن واقعه بل استمد صوراً من ذلك الواقع الذي عاشه وشاهده. فجاء شعره زاخراً بما حفلت به البيئة من صور ومظاهر تنوعت بتنوع المواقف والأحداث فكان من الطبيعي ان تحتل النار أو ما يدل عليها مكانها في شعره ولعل الاتافي والرماد (وتوشيم الفحم) من أكثر المفردات في الطلل التي حاول الشاعر ان يصفها ويشبه بها بقايا الديار التي يقف عليها، ويحاول الشاعر ذكر هذه المفردات التي تدل على الحياة لكي يجعل طلله عامراً بها غير مندرس لان وجود النار أو ما تخلفه وجود للإنسان الذي ترك هذه الديار لسبب من الأسباب وتطالعنا أولى هذه الصور من مخلفات النار في لوحة طللية لمهلل بن ربيعة التغلبي قال فيها:

الدار قفر عفاها بعد ساكنها

بالرّوع بعد ارتحال الحي عافيا

إلا رواكد سُفعاً بين مُلتبّد

(34)

مثل الحمامة منتوف خوافيا

ولا يجد الشاعر ابو دؤاد الأيادي رمزاً خالداً لطله الذي عفت رسومه غير الرماد

والاثافي فنجده يقول:

أمن رسم يُعفى أو رمادٍ

(35)

وسُفَع كالحمامات الفراد

ويجفل طلل زهير بذكر الأثافي في مطولته الشهيرة حيث قال:

أثافي سفعاً في معرس مرجلٍ

(36)

ونؤياً كحوض الجد لم يتتلم

أما طلل النابغة فهو مندرس فارقه أهله منذ زمن بعيد ولم يبق منه الارماد

ككحل العين لا يميز إلا بصعوبة فقال في ذلك:

رمادٌ ككحل العين لأياً أبينه

(37)

وتؤي كجذم الحوض أتم خاشع

ويسمى الحطيئة الرماد بالأطلس ويشبهه بالحمامة لتخليد طله فيقول:

نؤي وأطلس كالحمامة مائلٌ

(38)

ومرفعُ شرفاته محجورٌ

ويطالعنا الشاعر عدي بن زيد بصورة أخرى ذكر فيها الاثافي وآثار وقود النار

وقد صار فيها كالوشم عندما قال:

ما تبيينُ العينُ من آياتها

غير نؤي مثل خط بالقلم

وثلاث كالحمامات بها

(39)

عند مخبأهن توشيم الفحم

فالشعراء إذا يتحركون بوعي عندما يحاولون تخليد الطلل مستفيدين من قدرة

هذه الرموز على استثارة قناعة الجمهور الذي يشاركونهم في الخلفية الثقافية نفسها. لوحة النسيب والغزل: اما في لوحة النسيب والغزل فقد ذكر لنا القدماء زمن بدء النسيب عندما قرئوه بامرئ القيس بيد انهم لم يقدموا تفسيراً كاملاً لهذه الظاهرة الفنية⁽⁴⁰⁾، سوى ما أوماً إليه ابن رشيقي من ان تعدد رموز المرأة لا يخلو من باعث فني⁽⁴¹⁾، ثم اتجهت معظم آراء الباحثين المحدثين نحو التفسير الرمزي بعد ان عجزت النظرة الموضوعية عن تقديم الأدلة المقنعة لتشابه تكرار صورة المرأة في النماذج الشعرية الكثيرة، وتبقى بعد ذلك لوحة النسيب أو التشبيب أو الغزل هي نفسها اللوحة الطللية عندما تقترن بذكر المرأة، والنسيب أو التشبيب هو ذكر مفاتن الحبيبة ووصف جمالها الحي فهي بئنة راحلة يتشوق الشاعر للقائها ويشكو لواعج فراقها، اما روافد مكونات هذه اللوحة الفنية والموضوعية فقد تعارف عليها الشعراء وظلت تكشف عن إبداعهم وتشكل النار عنصراً فنياً في اكتمال صورتها فضلاً عن انها من العناصر التي استخدمها الإنسان وافاد منها فاستمد منها الشعراء ما اعانهم على رقد تجاربهم الشعرية وقد اتخذت النار من هذه اللوحة صوراً شتى ودلالات متنوعة، فالشاعر قيس بن الخطيم ينقل لنا صورة جميلة تكشف عن اجتماعه مع الحبيبة عمرة على النار في مشهد يفصح عن المودة واللقاء مقرونة بالعفاف حيث قال:

لعمرة إذ قلبه محجب

فأنى بعمرة أنى بها

ليال لنا ودها منصب

إذا الشول لطت بأذناها

وراحت حرابير درب الظهو

ر مجتلاً طم أصلابها

كأن القرنفل والزنجبيل

وذاكي العبير بحلبابها

نمتها اليهود إلى قبة

ودين السماء بمحرابها

ونار يقصر عنها الدد

ي آخر ليل صلينا بها (42)

ويصف لنا الشاعر عدي تأثير نار حبيبته عليه فهو يصطلي بها وتوقد في نفسه نار العشق حتى إذا خبا ضوء هذه النار فأن العطر يفعل فعله في إيقاد نار الحب فيقول:

واحور العينين مروب له غسن

مقلد من جناح الدر بقصارا

قد اصطلي ناره حيناً ويضرمها

إذا خبا ضوءها الهندي والغارا(43)

وتستثير نار الحبيب عند الأعشى الحيرة فظل مسهداً لم يغمض له جفن فخاطبها انه شاهد نارها ويالها من نار ليس كمثلها نار فيطول ليله وهو ساهر يرقب نارها ليتلظى بنار الحسرة والحرمان عندما قال:

إلا يا قتلُ قد خَلَقُ الجديدُ

وحبُّك ما يَمْحُ وما يبيدُ

أريتُ القومَ ناركِ لم أغمض

بواقصةٍ ومشرينا زرودَ

فلم ارَ مثلَ موقدِها ولكن

لآيةٍ نظرةٍ زهرَ الوفودُ

اضاءتُ أحورَ العينين طفلاً

(44)

يُكدسُ في ترائيه الفريدُ

وقال أحد الشعراء الإعراب عن حبيبته:

اني بنار عند زينة أوقدتُ

على ما بعيني من عشا لبصيرُ

وقد زادني حبا لزينة أنّها

(45)

مقوت لأخلاق الرجال نفورُ

ومن الصور الأخرى التي عمد إليها الشعراء هي تشبيه حليّ الحبيبة بالنار

لشدة حمومه وبريقه وقد قال النابغة في مثل ذلك:

نظرتُ بمقلة شادن متريبٍ
أحوى أحمّ المقلتين مُقلدٍ
والنظمُ في سلك يُزينُ غيرها
ذهبٌ توقدُ كالشهابِ الموقدِ

(46)

وقال في قصيدة أخرى مدح فيها احد الملوك فافتتحها بالنسيب:

صفحتُ بنظرة فرايتُ منها
تحيتَ الجذر واضعة القرام
تراثب يستضيء الحلي فيها
كجمر النارِ يُذرّ بالظلام

(47)

الحوار

أما الحوار مع العاذلة أو اللائمة فهو افتتاح آخر لقصائد كثيرة في الشعر الجاهلي وظفه الشعراء للتعبير عن أفكار معينة وأضافوا عليه طابعاً قصصياً مشوقاً ولم يقتصر هذا على الإنسان وحده بل تعدى ذلك إلى عالم الحيوان والبيئة الطبيعية أحياناً، وقد تركز هذا الافتتاح بشكل كبير في شعر الشعراء الفرسان والأجواد بيد اننا لا نعدم وجوده عند شعراء آخرين وقد شكلت النار ودلالاتها احد عناصره ومكوناته الفنية وعلى الرغم من ان الحوار مع اللائمة الذي يديره الشاعر لم يكن حقيقياً بل مفتعلاً في أكثره فهو حوار مع النفس التي تلوم الإنسان على الفروسية الزائدة والكرم الزائد كالذي يطالعنا به الشاعر حاتم الطائي في قوله:

لا تستري قدرى إذا طبختها
عليّ إذا ما تطبخين حرام
ولكن بذاك اليفاع فأوقدي
بجزل إذا اوقدتُ لا بضرام

(48)

فنفسه هي التي تتازعه في بعض الأحيان ويصرخ الشاعر بهذه الحقيقة قائلاً:

أشاور نفس الجود حتى تُطيعني
واترك نفس البخل ما استشيرها

وليس على ناري حجابً يكنها

لمستويص ليلاً ولكن اثيرها

فلا وايك ما يضلُّ ابن جاري

(49) يطوف حوالي قدرنا ما يطورها

ويتردد الحوار في شعر الشعراء الفرسان فعنثرة يزجر نفسه التي تمنعه من

الخروج إلى الحرب فصور لنا هذا النزاع بقوله:

دعيني أجدد العلية في القلب

وابلغ الغاية القصوى من الرتبِ

فلقتُ للحرب احميها إذا بدت

(50) واصطلي نارها في شدة اللهبِ

وقال عدي بن زيد محاوراً:

أعاذلُ من تكتب له النار يلقها

(51) كفاحاً ومن يكتب له الفوز يُسعدِ

وقال أيضاً:

واطفِ حديثُ السوءِ بالصمتِ انهُ

(52) متى يؤر ناراً للعتاب تأججاً

وإذا كنا عرفنا ان العرب قد يسمون البرق ناراً أو النار برقاً ففي مقطع الحوار

يتكرر ذكر البرق والنار وكيف يأرق الشاعر من وصف البرق ولمعانه كما في قول

اوس بن حجر:

اني ارقنُ ولم تارق معي هامى

لمستكف بعيد الصبح لواح

قدغبت عني وبات البرقُ يسهرني

(53) كما استضاء يهودي بمصباح

وقال امرؤ القيس:

أصاح ترى البرق ذات العشاء

كما اشتمل الباجسان الوقودا

يضيء سناه إذا ما علا

(54)

رباباً ثقلاً وحرناً نصيدا

وقد يحاور الشاعر قلبه ولاسيما في موضوع الحب والغرام متذكراً نار العشق. سنتكفي بما تقدم من نماذج شعرية وجدنا النار ودلالاتها الفنية قد احتلت حيزاً في رموز الافتتاحات التي وجهها الشاعر وطوعها لاستقبال تجربته الموضوعية ووثق علاقتها بالمجرى النفسي في هذا الافتتاح أو ذاك طبقاً لمقاييس فنية أو موضوعية يقرها الاختيار.

الرحلة:

أما في القسم الثاني من القصيدة الجاهلية الذي يتمثل في الرحلة على الناقة أو الفرس فاستقرت أوصافهما وتشبيهاتهما في أذهان الشعراء فتعارفوا على بنية مقطعها وخصوصية استخدام كل منهما، فالرحلة تمثل منفذ انتزاع النفس من هموم الذكريات التي تطرحها لوحة الافتتاح لمواجهة الواقع اليومي المعيش وما اتسم به من صراع حاد بين البيئة والمجتمع وبين أفراد المجتمع أنفسهم⁽⁵⁵⁾.

وقد شغلت النار وصورتها مجالاً في لوحة الرحلة لتوظيفها في مواجهة تحديات الواقع وخوض الصراع المثير في إطار البيئة الطبيعية فضلاً عن تهيئة الأجواء النفسية لاستقبال الحدث الموضوعي في القصيدة.

ففي شعر النابغة الذبياني نلمح صورة للنار شبه من خلالها الشاعر ناقته بثور وحشي بات يرمل منعطف معوج يبحث فيه، ثم شبهه بالحرفي الذي يستخدم الفحم في إيقاد نار كبيرة استخدم أنفاسه في استمرار إيقادها فوظف الشاعر حركة هذا الحرفي في رسم صورة لثور الوحش ليكون أنشط له وأذكي لفؤاده حيث قال:

واقطع الخرق بالخرقاء قد جعلت

بعد الكلال تشكى الأين والسأما

أوذي وشوم بحوضي بات منكسراً

في ليلة من جمادي أخضلت ديما

بات يحقف من البقار يحفزه

إذا استكف قليلاً تربة انهدما
مُولِيّ الرّيح روقيه وجبهته
كالهبرقي تتحّى ينفخُ الفحما

(56)

ويسهم الحطيئة في إكمال إجراء الصورة المادية للأداء الحرفي الآنف الذكر إذ
يقدم صورة متحركة للكبر ولأجزاء الحديد الذي يتطاير منه فقال:

أوفى على عقد الكثيب فانه
وسط القداح معقّب مشهور
وحصى الكثيب بصفحتيه كأنه
خبثُ الحديدِ اطارهنّ الكيرُ

(57)

وقال علقمة الفحل في إحدى قصائده:
وقد علوت قنود الرّحل يسفّعني
يومّ تجيء به الجوزاء مسمومُ
هامٍ فان أوار النّارِ شاملهُ

(58)

دون الثياب ورأس المرء معمومُ

وفي إحدى لوحات الرحلة عند الشاعر كعب بن زهير التي شبه فيها ناقته
بحمار وحش يسوق اتانه إلى عين ماء فشبه ما أثارت الحمر من غبار على وجه
الحمار بدخان فقال:

فأوردها طاميات الحمام
وقد كنّ ياجنّ اوكن جونا
يثرن الغبار على وجهه

(59)

لكون الدواخن فوق الارينا
وقال أيضاً في إحدى رحلاته:
وها جرة لا نستريد ظبأوها
لأعلامها من السراب عمائمُ
تسر الكاسعات العفر فيها كأنها

(60)

شواها فصلاًها من النارِ حَاجِمٌ
ويصف أيضاً سيرَ ظعائنه في يومٍ شديدِ الحرِّ تعقدتِ الحجارة من شدة حره
فقال في ذلك:

تبصر خليلي هل ترى من ظعائني
كنخل القرى أو كالسقيين حزائمه
فلما رأينَ الجزءَ ودَعَ أهلهُ

(61)

وحزفَ نيرانَ الصفيحِ ودائقةُ

ولنا بعد هذا أن نقرر ان استقراء لوحات الرحلة على الناقاة وصور تشبيهها ومشاهدها المتنوعة قد شكلت النار ودلالاتها فيها صوراً عن طريق التشبيه على الرغم من قلتها بيد انها من العناصر التي استعان بها الشعراء في تشكيل صورهم الفنية.

دلالة النار في موضوعات الشعر:

بعد أن حاولنا الكشف عن النار ودلالاتها الفنية في لوحة الافتتاح بأشكالها المتعددة ولوحة الرحلة فان هذه الدلالة استمرت إلى المرحلة الثالثة من مراحل القصيدة التي تتمثل في موضوعات الحماسة والفخر أو المديح أو الهجاء أو غيرها من الموضوعات التي خطط لها الشاعر منذ البداية لمعالجة التزامه الباعث على القول. وإذا كانت النار ودلالاتها وإيحاءات صورها من الموضوعات التي شغلت ذهن العربي فليس غريباً أن تأخذ طريقها إلى موضوعات القصيدة من خلال الروافد التي استقى منها الشعراء صورهم وتعبيراتهم حتى امتدت إلى ثنايا حكمهم ومواعظهم فاستعانوا بها وبدلالاتها في تكوين الصور الشعرية، ويشير استقراء ما خلفته الأيام من الشعر الجاهلي إلى كثرة توظيف الشعراء لتلك الدلالات فضلاً عن البواعث النفسية لاستخدام ذلك في موضوعاتهم الرئيسية وذلك سنتابع تفاصيله في الصفحات القادمة من البحث.

الفخر والحماسة

يعد موضوع الفخر والحماسة من اهم الموضوعات ومن أكثرها شعراً مما وصل إلينا من الشعر العربي قبل الإسلام بسبب طبيعة المجتمع العربي آنذاك، التي ساعدت على ازدهار هذا الفن وتطوره وظهر في شعرنا منذ اقدم العصور حتى برز

فيه العديد من فحول الشعراء الذين عمدوا إلى إبراز السجايا الحميدة كما صوروا جوانب القوة والشجاعة في بعض فخرهم بالفضائل والقيم التي تتصل ببيئتهم من قريب أو بعيد كما ارتبط الفخر ارتباطاً وثيقاً بالحماسة التي لا تخلو من مبالغة فكانت النار وصورتها تمثل رمزاً مهماً لكثير من الصفات التي حاول الشعراء الافتخار بها، وكان من الطبيعي ان يتخبروا لمثل هذه الموضوعات ما يلائمها من الألفاظ الفخمة التي تملأ الأفواه وتقرع الإسماع، وستتابع صورة النار ودلالاتها في هذا الموضوع حسب محورين يتضمن الأول: صورتها في الحرب ويتكفل الثاني: بالإبانة عن صورتها في الفخر بالقيم والفضائل النبيلة التي كان يحرص عليها أفراد المجتمع ولاسيما فضيلة الكرم.

ولما كان الفخر من الصق فنون الشعر بالحرب فقد اعتمد الشعراء الدلالة التي توحى بها النار والمعاني التي تتصرف إليها رموزها في هذا الموضوع الذي تفاخروا من خلاله بالعدة والعدد والثبات والإقدام وكل مظاهر البطولة والفروسية فضلاً عن فخرهم بالاحساب والأنساب ذلك ان التزام الشاعر الجاهلي بانتمائه القبلي اقتضاه ان يكون شاعر حرب بوجه رئيس وذلك للعوامل الكثيرة التي جعلت الحرب ظاهرة شبه مستمرة طوال العصر إذ يطالعنا اقدم الشعراء عبيد بن الأبرص الذي افنت الحرب التي دارت بين كنده وأسد قومه بصورة استعار لها لهيب النار فقال:

هذا وحربٌ عوانٍ قد سموت لها

(62)

حتى شبيبتُ لها ناراً بإشعال

وفي معرض التوثيب الحربي والاستعداد للحرب، فجساس بن مرة البكري حينما قتل كليياً اخبر أباه بما فعل، فأنكر عليه فعله إلا انه آزر ابنه - أخيراً- في الحرب فقال جساس يوثبه:

فأهب عنك اهبة ذي كفاح

(8*)

فان الامر جلّ عن التلاحي

فاني قد جنيتُ عليك حرباً

تُعصُّ الشيعُ بالماءِ القراح

تسَعَّرَ نارُها وهجاً وجاءتْ

(63)

إذا خمدت كنيـران الفصاح

كما أشار الشعراء إلى إيقاد نار الحرب وتلبية دعوة من يوقدها كالذي يطالعنا

به السفاح التغلبي في قوله:

وليلةُ بَتْ أو قد في خزارٍ

هديتُ كتائباً متحيراتٍ

ظللتُ من السهاد وكنّ لولا

(64)

سهادُ القوم احسب هاديات

فالسفاح قائد جيش كليب وقد أمره ان يوقد على جبل جراز حتى يهتدي الجيش

بها وقال له ان غشيك العدو فأوقد نارين وسجل هذه الحقيقة أيضاً عمرو بن كلثوم

حين قال:

ونحنُ غداه أوقدَ في خزارٍ

(65)

رقدنا فوق رقدِ الرافدينا

ويعبر الشعراء عن قوة الحرب وشدتها بالنار واشتعالها ويفتخر بعضهم بإشعال

نار الحرب بعد ان تبددت الآمال واستنفدت الوسائل في تجنبها كقول قيس بن

الخطيم:

دعوتُ بني عوفٍ لحقن دمائهم

فلما أبو سامحت في حربٍ حاطبٍ

وكنتُ امرءاً لا ابعث الحرب ظالما

(66)

فلما ابو اشعلتها كل جانبٍ

وقال امرؤ القيس مفتخراً:

تطاع واصلةً، وصّال قاطعةٍ

وهاب أو هبةً، للخير مُحْتَسِبُ

(67)

طعانُ مقتله وهابٍ مثقلةٍ

شعال مشعلة شعواء تلتهبُ

ويفخر دريد بن الصمة بكثرة الحرب التي خاض غمارها فيقول:

اعاذل كم من نارٍ حربٍ غشيتها
وكم لي من يومٍ اغرَّ مُحجَّل
(68) وقال منقذ الهاللي:

يا عمرو للضيفان إذ نزلوا
والحرب حين ذكا لها الحجرُ
(69) ويحذر بشر الفقعسيُّ قومه قائلاً:
انهاكم ان تحلّوا بطن دافعةٍ
ووادياً عبُرهُ مستهدمٌ هارُ
لا تعلقنكم مني مسيرةً
(70) شنعاء يلمعُ في حافاتِ النارُ

ويصف الشاعر جعدة بن عبد الله الخزاعي الحرب التي انتصر قومه فيها
فيقول:

وكنا إذا ما الحرب شبَّ وقودها
ضربنا باثمان المخاضي الجماجا
(71)

في حين يستعيد الشاعر علقمة الفحل لهب النار لأطراف الرماح فيقول:

دافع قومي في الكتيبة إذ
(72) طار لأطراف الظباة وقد

ويفتخر الشاعر كعب بن زهير بقومه وفرسانهم في الحرب إذ قال:
من معشر فيهم قروم سادةٌ

وليوث غابٍ حين تضطرمُّ الوغى
ويصولُّ بالأبدان كلُّ مُسفرِّ
(73) مثل الشهابِ إذا توقدَّ بالغضى

ويصور الشاعر عدي تفرق الأعداء في الحرب بتطاير الشرر من النار حيث

قال:

إذ جعلناهم بتأذير كما

(74)

فرّق القاييسُ في الليل الشرر

ومن استقرائنا لتلك النصوص الشعرية التي تقع في إطار الحرب وجدنا ان

الحرب خيار قاس يلجأ إليه العربي الجاهلي عصرئذٍ والمتأمل في أغلب هذه النصوص ينكشف أمامه ذلك الصوت الخفي الذي رفضها واحتقرها وشوه صورتها وقد شكّلت النار وصورتها جانباً من هذه الصور الشعرية الراضية للحرب وقد أودع

تفاصيل ذلك أول الشعراء وسابقهم امرؤ القيس حين قال:

الحربُ أول ما تكون فتيةً

تسعى بزينتها لكل جهولٍ

حتى إذا استعرت وشب ضرامها

(75)

عادت عجوزاً غير ذات خليلٍ

ولعل زهيراً قد فاق الشعراء في الإطار العام للصورة الذميمة للحرب مشيراً إلى

معطياتها القبيحة حين قال:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم

وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة

(76)

وتضرّ إذا ضربتموها فتضرم

ويحرص الشاعر الفارس عنتره الذي لمعت شخصيته في حرب داحس والغبراء

بان لا يكون سبباً في اتخاذ قرارها فيعلن موقفه بوضوح من هذه الحرب في قوله:

ان تكُ حريكم امست عواناً

فاني لم اكنُ ممن جناها

ولكن ولدُ سودة ارثوها

(77)

وشبوا نارها لمن اصطلاها

اما عبيد بن الأبرص الذي افنت الحرب قومه لا ينسى قسوة الحرب وفتكها

فتراه يؤجل قرار إيقادها إلا لظالم أصر على قيامها فهو الذي قال:

واني لأطفي الحرب بعد شُبوبها

وقد اوقدت للغّي في كلّ موقدٍ
فأوقدتها للظالم المصطفى بها
إذا لم يرعاه رأيه عن تردد

(78)

ويستخدم الشاعر اوس بن حجر مبدأ القوة والحرب دفاعاً عن قومه ومنعاً عن
ذلهم وهو انهم فضمن ذلك قوله:

تكفنا الأعداء من كل جانبٍ
لينتزعا عرفائنا ثم يرتعوا
فما جبنوا انا نسدُ عليهم

(79)

ولكن لُقوا ناراً تُحسّ وتسفحُ

ومن مظاهر الفخر التي كانت مدعاةً لاعتزاز العربي، الكرم وقد شكلت النار
احدى مكونات هذه القيمة ولذلك تسابق العرب لإشعال نار الضيافة والتي كانوا
يوقدونها على الأماكن المرتفعة على غرار نار الاستمطار لتكون أشهر وهي عندهم
من اجل النيران، ولعل الخنساء كانت تعي هذه الحقيقة عندما قالت في حق أخيها:

وان صخرًا لوالينا وسيدنا
وانّ صخرًا إذا نشتو لنحارُ
وان صخرًا لتأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نازُ

(80)

فقد جعلته إمام الأئمة ثم جعلته جبلاً بل ذهبته إلى ابعد من ذلك عندما جعلته
ناراً في رأس هذا الجبل شهرة في الكرم لان النار كلما كانت اشد ارتفاعاً كان صاحبها
أجود وامجد لكثرة من يراها من بعيد (81)، من هنا يمكن القول ان هذا النوع من النار
أصبح معلماً مقروناً بالكرم بلا استثناء وقد تنافس العرب ومنهم الشعراء على
إيقادها وذلك ما نطالعه في قول حاتم الطائي:

وليس على ناري حجابٌ يكنها
لمستوبص

(9*) ليلاً ولكن انيرها (82)

وقول المنقّب العبدى:

وسار تغناه المبيت فلم يدع
له طامس الظلماء والليل مذهباً
رفعت له بالكف ناراً تشبها
شامية نكباء أو عاصف صبا
فلما اتاني والسماء تبأه
فلقيته: أهلاً وسهلاً ومرحباً

(83)

وقال عدي بن زيد:

ولرفعي على الرباوة ناري

(84)

علماً للمضل والليل داج

ويفتخر كعب بن زهير بإيقاده النار للمسافرين:

ونار قبيل الصبح بادرت قدحها

حيا النار قد اوقدتها لمسافر

فلوح فيها زاده وربأته

(85)

على مرقب يعلو الاحزة ماهر

ومن المفيد ذكره في هذا الشأن ان إيقاد هذه النار كان مقروناً بسمع (المستبج)

وهو الشخص الذي ينبج لتهديجه الكلاب، فإذا سمع الكريم نباحه رفع له النار ليتهدي

بها وما ان يحل الضيف حتى يعمد المضيف إلى منع كلابه من ان تهر في وجوه

ضيوفه ومن ذلك قول الشاعر عوف ابن الاحوص:

ومستبج يخشى القواء ودونه

من الليل يابا ظلمة وسقورها

رفعت له ناري فلما اهتدى بها

(86)

زجرت كلابي ان يهر عقورها

المدح

لقد شغل موضوع المدح حيزاً كبيراً في شعرنا العربي القديم وسعى الشعراء إلى

إضفاء كل الصفات الكريمة على ممدوحهم ومحاولة حرصهم على التمسك بكل القيم

العربية الأصيلة من كرم وشجاعة ومروءة وغير ذلك من القيم والفضائل التي كانت

محل اعتزاز العربي وفخره وإذا كنا قد كشفنا فيما سبق عن نار الضيافة فمن الطبيعي ان نجد النار ودلالاتها احدى مكونات موضوع المدح فلم يجد الشعراء في ابراز صفات ممدوحهم أفضل من نعمتهم بالكرم المقرون بإشعال نار الأضياف وذلك ما يطالعنا به الأعشى في مدحه للملحق بن حنثم:

لعمري لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ

إلى ضوء نار في بقاع تحرقُ

تشبُّ لمقرورينِ يصطلينانها

(87) وباتَ على النَّارِ الندى والملحَقُ

ويصف الشاعر زهير ممدوحه (هرم) بأنه مرهق للنيران من كثرة كرمه ولاسيما في أوقات الشدة حين يصف الناس بأموالهم فيقول:

حدبٌ على المولى الضدِّيك إذا

نابت، عليه نوائبُ الدَّهرِ

ومرهقُ النيرانِ يحمدُ في الـ

(88) لَأواء، غيرُ ملعنِّ القَدْرِ

وقال امرؤ القيس يمدح طريفاً بن مالك:

لنعمَ الفتى تعشو إلى ضوءِ نارهِ

(10*) طريفٌ بن مال ليلة الجوع والخصر

إذا البازل الكوماء (10*) راحت عشيةً

(89) تلاوذ عن صوتِ المبسِّين بالشجر

ولما كانت النار عظيمة كان ذلك دليلاً على كثرة كرم الممدوح حيث يراها أكبر عدد ممكن من الناس وقد أودع تفاصيل ذلك الأعشى في مدحه لإياس بن قبيصة فقال:

تشتري الحمد بأغلى بيعه

واشتراءُ الحمد أدنى للريخ

تبتني المجد وتحتاز النّهي

(90)

وترى نارك من ناءٍ طرح

وقد استقر هذا المنطلق في وعي العديد من الشعراء الجاهليين فظلوا يحرصون عليه ولا يحيّدون عنه⁽⁹¹⁾.

ويطالعنا النابغة الذبياني بمدحه لقومه قائلاً:

شعتُ عليها مساعيرٌ تجرهمُ

(92)

شمُ العرائين من مردٍ ومن شيب

وقال أيضاً يمدح عمرو بن المنذر:

قد خلّتُ الحرب عنه فهو يُسعرها

كالهندواني حلّى حدّه الادمُ

شهابُ حربٍ يدين الظالمون له

(93)

في كلّ حيٍّ له البأساء والنعمُ

ولم يقف الشعراء في وصف ممدوحهم بالكرم والشجاعة بل تعدى ذلك إلى

وصف اسلحتهم ومدحها كالذي يطالعنا النابغة به:

ولا عيب فيم غير ان سيوفهم

لهنّ فلول من قراع الكتائب

تقدُّ السلوقي المضاعف نسجه

(94)

وتوقد بالصفاح نار الحبابِ

كما ان سلاح الممدوح لين يبرق ويلوح سنانه كأنه مصباح راهب فقال النابغة:

واسمر مارن بلقاح فيه

(95)

سنان مثل نبراس النهامي

وتطالعنا في المديح صورة أخرى هي تشبيه الممدوح بالمصباح الذي يلوح به

من بعيد ليهدي الناس في الظلام، قال امرؤ القيس مادحاً المعلى احد بني التميم:

كأنني إذ نزلت على المعلى

نزلت على البواذخ من شمام

أقرّ حشا امرؤ القيس بن حجر

(96) بنو تيم مصابيحُ الظلام
وقال دريد بن الصمة:

ولا يزال شهاباً يستضاءً به

(97) يهدي المقانب ما لم تهلك الصمُّ

وربما دلت النار على الذكاء وتوقد الذهن والنشاط حيث نجد هذه الصفات عند
ممدوح الأعشى الذي تميز بذكائه وفاق الملوك في نشاطه فقال يمدح قيس بن معد
يكرب:

زنادك خير زناد الملو

ك خالط منهنَّ مرخُ عفاراً

فان يقدموا يجدوا عندها

(98) زنادَ همو كأبيات قصارا

وقد يشبه وفاء الممدوح بالنار فتكون ناره أعظم النيران كالذي قاله الأعشى في
مدح شريح بن حصن:

والصبر فيه قديماً شيمَةً خلقٌ

(99) وزنده في الوفاء الثاقب الواري

ومما تقدم يمكن القول ان دلالة النار وصورتها قد اتسعت في موضوع المديح
فدلت على كثرة الكرم والشجاعة والحكمة والذكاء والوفاء وتعدت إلى تشبيهه سلاح
الممدوح فشكلت عنصراً من عناصر صورة المدح.

الهجاء

هو موضوع عكس المديح الذي حاول الشاعر فيه ان يضيفي على ممدوحيه
الصفات الحسنة والقيم الرفيعة بينما يسعى جاهداً في الهجاء ان يسلب منه جميع هذه
الصفات، وللشاعر في هذا الموضوع في العصر الجاهلي طقوس وشعائر لا مجال
للحديث عنها هنا، واستمر هذا التقليد إلى نهاية العصر العباسي والذي يهمننا هنا في
هذا المجال هو النار ودلالاتها بوصفها احدى الوسائل التي استعان بها الشعراء في
رسم صورهم الفنية ومن ذلك ما هجا به الشاعر القديم بني قيس بالبخل فاتخذ من
نارهم الضعيفة التي تراها العين وليس لها وجود دليلاً على بخلهم وشبهها بنار

الحباحب:

الا انما نيران قيس إذا سقوا

(100)

لطارق ليلٍ مثل نار الحباحب

ويهجو اوس بن حجر بني الابرص الذي لم يطعموا ضيفهم بل قدموه أمامهم

للحرب واصفاً اياهم بالبخل والجبن فقال:

باتوا يصيبُ القوم ضيفاً لهم

حتى إذا ما ليلهم أظلما

تروهمُ شهباء ملمومةً

(101)

مثل حريقِ النار أو أضرما

ويطالعنا الاعشى في احدى قصائده التي هجا فيها يزيد بن مسهر وشبهه

بالوعل الاحمق الذي ينطح صخره ليفلقها فلا يضرها وانما يوهي قرنه فيقول:

لاعرفنك ان جد النفير بنا

وشبت الحربُ بالطواف واحتملوا

كناطح صخرة يوماً ليفلقها

(102)

فلم يضرها وأوهى قرنهُ الوعلُ

ومن عادة القبائل العربية في العصر الجاهلي ان لا تعرض السبايا من النساء

الآلياً وتوقد النار لاجلائهن، وقد سجل لنا هذا الأعشى في هجائه لشييان بن شهاب

الجدري عندما قال:

ومنا الذي اعطاهُ في الجمع ربهُ

على فاقهٍ وللملوك هباتها

سبايا بني شييان يوم اوارهِ

(103)

على النار إذ تجلّى له فتياتها

ويهجو الأعشى يزيد بن مسهر الشيباني ويتوعده بطعنة واسعة يتفرق منها الدم

مندفعاً فتوقد النار عنده لمعرفة حاله كل ساعة فيقول:

ابا ثابت انا إذا تسبقنا

سيرعد سرخٌ أو يُنبّه نائمٌ

بمشعلةٍ يخشى الفراش وشاشها

(104)

يببئُ لها ضوء من النار جاجمٌ

اما زهير بن ابي سلمى فيهجو قومه ويحذرهم العداوة وما سيلحق بهم من عار
الدهر وسوء الحديث في كل مجلس حتى يشيع جبنهم وعذرهم كما الشرر المتطاير
من النار في قوله:

فان تدعو السواء فليس بيني

وبينكم بني حصن بقاءً

ويبقى بيننا قدح، وتلفوا

إذا، قوماً، بأنفسهم اساؤوا

وتوقده ناركم شرراً ويرفع

(105)

لكم، في كل مجمعة، لواءً

ويهجو رجل من باهلة احد خصومه فيقول:

ما جاءنا من نحو ارضك صادرٌ

ولا واردٌ إلا بدمك يا عمرو

وتلعمُ كلبَ الحيِّ من خشية الردى

(106)

ونارك كالعذراء من دونها سترٌ

الثناء

ولا يختلف الرثاء في جوهره عن المدح سوى ان الشخص المرثي قد فارق الحياة

والممدوح لا يزال على قيد الحياة، كما يتميز الرثاء باللوعة والأسى وصدق التجربة

الشعورية وللنار وصورتها مكانها أيضاً في هذا الموضوع ومن ذلك ما رثى به أبو زيد

الإعرابي عزيزاً عليه فقال:

له نازٌ تشب بكل ريعٍ

إذا الظلماء جللت البقاعا

وما ان كان أكثرهم سواماً

(107)

ولكن كان أرحبهم ذراعاً

ولا يختلف الشاعر القديم الذي رثى همام وبشر بن عامر في ذكر كرمهما
عندما كانا على قيد الحياة إذ وصف عظم ناريهما بالفجر ولاسيما في أيام الشتاء
حيث قال:

على مثل همام ولم ار مثله

تبكي البواكي أو لبشر بن عامر

غلامان كان استوردا كل مورِد

من المجد لما استوسعا في المصادر

كأن سنان ناريهما كل شتوة

سنا الفجر يبدو للعيون النواضر⁽¹⁰⁸⁾

اما المهلهل فينكر على الناس ان يوقدوا ناراً للكرم بعد كليب وان يصغوا في
الامور العظيمة فيقول:

نبئت ان النار بعدك اوقدت

واستب بعدك يا كليب المجلس

وتكلموا في امر كل عظيمة

ولو كنت شاهدهم فيها هم ينسوا⁽¹⁰⁹⁾

وتطالعنا صورة أخرى في شعر الخنساء عندما رثت اخاها صخرأ فقالت:

قذى بعينيك ام بالعين عوار

ام ذرفت إذ خلت من اهلها الدار

وان صخرأ لتأتم الهداة به

كأنه علم في رأسه نار⁽¹¹⁰⁾

ولم يقتصر الامر على النار ودلالاتها بل تعدى ذلك حتى إلى الرماد والمتخلف

منها فقد كان مقدساً في نظر العرب وذلك ما تتأمله في رثاء كعب الغنوي لاختيه ابي

المغوار حتى بعد ظهور الاسلام بقوله:

عظيم رماد النار رحب فناؤه

إلى سند لم تحتجنه غيوب⁽¹¹¹⁾

ويرثي الشاعر عبيد بن الابرص رجلاً اسمه فطره الطائي في مقطوعه قال في

بعضها:

نعم المجير وخيرُ اسرته

للضيف يعيشو ناره فطره⁽¹¹²⁾

الغزل:

لقد كشفنا عن دلالة النار وصورتها في افتتاح القصائد بالنسب والغزل ونحاول هنا ان نكشف عن صورتها ورموزها في قصائد الغزل أو في أبيات الغزل التي حاول الشعاران يبيها في تضاعيف القصيدة الجاهلية مع الموضوعات الاخرى. وقد اتخذت النار دلالات وصور شتى توزعت بين ما هو حسي مادي وبين ما هو تجريدي كالذي يطالعنا به امرؤ القيس في غزله فأفصح لنا عن صورة مادية حسية حينما شبه وجه حبيبته في بياضه وجماله بمصباح اضاء الفراش من شدة نوره، كما شبه حلي حبيبته بالنار والحجر الذي يتقد فضمن ذلك قوله:

يضيء الفراش وجهها لضجيعها

كمصباح زيت في قناديل ذبال

كأن على لباتها حجر مدخل

أصاب نضي جزلاً وكف باجدال⁽¹¹³⁾

وقال حاتم الطائي:

وغراً كفانور الجبين بزينة

توقد ياقوت وشذراً منظماً

كجمر الغضا هبت له بعد هجمة

من الليل أرواح الصبا تنتسما⁽¹¹⁴⁾

ومن صور النار التي نجدها في موضوع الغزل هي النار التي يوقدها الحبيب فتتهيج شوق المحب وتزيد نار قلبه وربما اضاف الحبيب إلى ناره فيصبح ذلك ادعى لان يهيج مكامن الشوق ولواعج الحب وذلك ما اودع تفاصيله عدي بن زيد في قوله:

يا ليبيني اوقدي النارا

إنَّ من تهوين قد حارا

ربَّ نار بتُّ ارمُقها

تقضم الهندي والغارا

عندها ظبي يؤرثها

عاقدٌ في الخصرِ زناراً⁽¹¹⁵⁾

اما الشاعر الفارس العاشق عنتره فقال:

هذه نار عبله يا نديمي

قد جعلت ظلمة الظلام البهيم

تتلظى ومثلها في فؤادي

نار شوق تزداد بالتغريم

اخمدها بيضاء تهتز كالغصن

إذا ما انثنى البراثيم⁽¹¹⁶⁾

لكن العاشق الولهان قد يقنع بالامال ويرضى بالسهد وهو يعلم عدم جدواه لانه

يدرك دون الوصال حرب شعواء محرقة تأتي على الاخضر واليابس فيقول عنتره:

سأضمر وجدي في فؤادي واكتم

واسهر ليلي والعواذل نوم

واطمح من دهري بما لا اناله

والزم منه ذل من ليس يرحم

وارجو التداني منك ابنة مالك

ودون التداني نار حرب تضرم⁽¹¹⁷⁾

كما توزعت النار ودلالاتها في موضوعات أخرى فاستخدمها الشعراء مما أعانهم

على رسم صورهم الشعرية في أبيات حكيمة كالذي تجده في أبيات الشاعر عبد هند

بن زيد التغلبي يعاتب قومه بها:

فلا اسمعن فيكم بأمر قناتنا

ضعيف ولا تسمع به هامتي بعدي

وان الذي ينهاكم عن تمامها

يناغي نساء الحي في طرة البرد

يُعَلُّ والأَيَّامُ تتَقَصُّ عُمُرُهُ
كما تتَقَصُّ النَّيْرَانُ من طرفِ الزَّندِ
وعن الكبر والشيب قال عدي:
وسَطُهُ كالبراع أو سُرْجِ المَجِ
دَلِّ حيناً يخبر وحيناً يُنِيرُ
مِثْلُ نارِ الحَرَّاصِ يَجْلُو ذرَى المُرِّ
نِ لمن شاقه إذا يَسْتَطِيرُ

ونخلص مما تقدم إلى ان النار ودلالاتها قد شكلت محوراً من محاور مناحي العرب الفكرية ومعتقداتهم الدينية والأسطورية قبل الإسلام واستمر اعتقادهم بذلك حتى بعد ظهور الإسلام وخصها القرآن الكريم بعدد كثير من آياته الكريمة، فضلاً عن دلالاتها الفنية ولاسيما في لوحات افتتاح القصائد الجاهلية المتنوعة في الطلل والنسب والظعن والحوار والحكمة وغيرها من الافتتاحات التقليدية فاستمد منها ومن دلالاتها الشعراء ما اعانهم على رفد تجاربهم الشعرية كما امتدت النار ودلالاتها إلى المرحلة الثالثة من مراحل القصيدة التي تتمثل في موضوعات الفخر والحماسة أو المديح أو الهجاء أو الرثاء أو غيرها من الموضوعات التي خطط لها الشاعر منذ البداية لمعالجة التزامه الباعث على القول ومن خلال استقراء النصوص الشعرية التي أثبتنا قسماً منها في هذا البحث توضح ما لهذا العنصر من دلالة فنية وموضوعية فضلاً عن البواعث النفسية من أهمية دفعت الشعراء إلى توظيفه في موضوعاتهم الرئيسية حتى امتد إلى ثنايا حكمهم ومواعظهم فاستعانوا به في تكوين الصور الشعرية. وفي الختام نود القول بأن هذا البحث ما هو إلا محاولة متواضعة وإضافة أرجو ان تحلل موضعها في هذا النتاج الغزير الذي تناول به الباحثون المحدثون شعرنا العربي قبل الاسلام فان كان ذا فائدة فذلك هو الرجاء وإلا فحسبي أنني اجتهدت ولا كمال إلا لله وحده فله الحمد ومنه العون والسادد.

الهوامش:

(1)الأوائل/ العسكري/20.

- (*) وهو نبات له عطر عندما يوضع في النار.
(2) الحيوان/5/134، الأوائل/23.
(2*) نوعان من الشجر.
(3) الحيوان/4/150، بلوغ الارب/2/333.
(4) ديوانه/214، السلع العشر: ضربان من الشجر، اليقور (البقر).
(5) بلوغ الارب/2/302.
(6) الحياة العربية من الشعر الجاهلي/426.
(7) الحيوان/4/15.
(8) الغصن الذهبي/1/254.
(9) معجم البلدان (أبو قبيس).
(10) ينظر: التيجان/188 وما بعدها، تراث الحب في الأدب العربي قبل الإسلام/ 123 وما بعدها.
(11) ينظر: الحيوان/4/474، الأوائل/24.
(12) ينظر: شرح المعلمات السبع (التبريزي)/352.
(13) ديوانه/46.
(14) الأوائل/36.
(15) الحيوان/4/150.
(16) الحيوان/4/471.
(17) ديوانه/63، البيان والتبيين/ 3/6، وينظر ديوان الأعشى/ 225، وديوان أوس بن حجر/16 والمفضليات (افنون النجلي) 2/62.
(18) ينظر: تفاصيل ذلك في أمثال العرب للضبي/84-85.
(3*) المحاش: القوم المجتمعون من قبائل شتى ويتحالفون على النار.
(19) الأوائل/24.
(20) الحيوان/4/476.
(21) الأوائل/21.
(22) الحيوان/4/484.
(4*) الخماط: سمه في عرض عناق البعير، والعلاط سمه تكون في الفخذ.
(23) الحيوان/4/491، والطمش: الخلق والورى.
(24) الأوائل/27.

- (25)الأوائل/27.
- (26)ديوانه/150، الأوائل/26.
- (27)الحيوان/4/481.
- (28)الأوائل/28، الحيوان/4/481.
- (29)الأوائل/28.
- (30)ديوانه/87.
- (31) الأوائل/28.
- (32) الأوائل/28.
- (33)الواقعة/71، 72، 73 الآية.
- (34)المهمل (حياته وشعره)/358.
- (35)شعر أبي دؤاد (ضمن دراسات في الأدب العربي)/309.
- (36)شعر زهير / 10، وتتنظر: صورة أخرى في 177.
- (37)ديوانه/30.
- (38)ديوانه/142.
- (39)ديوانه/73، وتتنظر صورة أخرى للنار وما تخلف في دواوين الشعراء: بشر بن أبي خازم/130، أمية/296، ديوان الهذليين/1/227، 2/190.
- (40)عناصر الوحدة الثقافية (بحث)/235، كما تتنظر متابعة الدكتور عادل البياتي: الجذور الاسطورية الرمزية لشواهد الطلل والرماد والآثار في كتابه: أيام العرب/262.
- (41)ينظر الشعر والشعراء/1/74.
- (42)ينظر العمدة/2/121.
- (43)ديوانه/132.
- (44)ديوانه/50.
- (5*)غن: مقلة الشعر، تتنظر صورة أخرى في /48.
- (45)ديوانه/321، وتتنظر صورة أخرى في ديوانه طرفة/148.
- (46)الوحشيات/209.
- (47)ديوانه/91.
- (48)ديوانه/130.
- (49)ديوانه/172.
- (50)ديوانه/246.

- (51) ديوانه/46.
- (52) ديوانه/103.
- (53) ديوانه/120.
- (54) ديوانه/15.
- (55) ديوانه/252.
- (56) ديوان طرفة/67.
- (57) ينظر حول هذا الموضوع وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية/ 37، أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار/74، 78 الرحلة في القصيدة الجاهلية/ 57، 59.
- (58) ديوانه/64-66.
- (59) ديوانه/147.
- (60) شرح ديوان علقمة/70.
- (61) شرح ديوانه/105.
- (6*) الأرون: حفر النار.
- (62) شرح ديوانه/136.
- (7*) الجاحم: الموقد، وتتنظر صور أخرى في دواوين: امرئ القيس/ 85: اوس بن حجر/ 403، 78.
- (63) شرح ديوانه/ 192.
- (64) ديوانه/102.
- (65) الموثبات/180.
- (8*) التلاحي: اللوم والعذل.
- (66) أيام العرب/100.
- (67) شرح المعلمات/352 (التبريزي) فخر الدين قباوة.
- (68) ديوانه/80.
- (69) ديوانه/301.
- (70) ديوانه/96، الوحشيات/273.
- (71) الوحشيات/144 وتتنظر صورة أخرى في 141.
- (72) الوحشيات/72.
- (73) الوحشيات/9.
- (74) شرح ديوان علقمة/41 أو تتنظر صورة أخرى في/50.

- (75) شرح ديوان كعب/233، وتتنظر صورة أخرى في/211.
(76) ديوانه/61.
(77) ديوانه/353.
(78) ديوانه/18.
(79) ديوانه/289.
(80) ديوانه/55.
(81) ديوانه/57.
(82) ديوانها/48-49.
(83) ينظر النجلاء الحابري/ 243.
(84) ديوانه/54.
(9*) لمستربص: المستضيء بالنار.
(85) شعر المنقب/27.
(86) ديوانه/96 وتتنظر 175.
(87) شرح ديوانه/ 185-186.
(88) المفضليات/ 36-176، وينظر مثل هذا في دواوين الشعراء/ امرئ القيس/ 239،
المتلمس الضبعي/ 317، الاصمعيات (مالك بن حريم)/ 5-64، الوحشيات (أعشى
سليم)/ 145، 255.
(89) ديوانه/223-225.
(90) شعر زهير/118.
(91) ديوانه/142.
(10*) الخصد: شدة البرد، الكوماء: العظيمة السنام لسمنها، المبس: الذي يدعو للحلب.
(92) ديوانه/239.
(93) ينظر على سبيل المثال دواوين: عدي بن زيد/93، السمؤال/26، الحطيئة/207.
(94) ديوانه/51.
(95) ديوانه/196.
(96) ديوانه/44.
(97) ديوانه/134، النهائي: الراهب.
(98) ديوانه/140.
(99) ديوانه/110.

- (100) ديوانه/53.
(101) ديوانه/181.
(102) بلوغ الارب/2/166.
(103) ديوانه/113.
(104) ديوانه/61.
(105) ديوانه/87.
(106) ديوانه/81.
(107) شعر زهير/145.
(108) الوحشيات/ 231، وينظر صورة أخرى في المصدر نفسه/ 146،242، ديوان الأعرشى/155.
(109) الحيوان/5/133.
(110) الحيوان/5/174.
(111) المهلهل (حياته وشعره)/301.
(112) ديوانها/42.
(113) جمهرة أشعار العرب/2/699.
(114) الوحشيات/ 136، والأبيات مما أخل بها ديوان عبيد، وتنتظر صورة أخرى في المصدر نفسه/140.
(115) ديوانه/29.
(116) ديوانه/234.
(117) ديوانه/100.
(118) ديوانه/138.
(119) ديوانه/137.
(120) الوحشيات/ 19، والبيتان 3،4 في الحيوان والبيان والتبيين/ 34/3، 479، 48/3
تتسب لعمر بن هند.
(121) ديوانه/85.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

- أساليب الصناعة في شعر الخمرة والأسفار عند الأعشى، د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت 1972م.
- الأصمعيات، الأصمعي (أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت 216هـ)، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط3، 1387هـ-1967م.
- الأغاني، الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ)، تحقيق عبد الستار احمد فراج، دار الثقافة، بيروت 1960، ونسخة (طبعة دار الكتب).
- الأوائل، العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط7، 1140هـ-1987م.
- أيام العرب قبل الإسلام، أبو عبيدة (معمر بن المثنى (ت 209هـ)، ملقطات من الكتب والمخطوطات، تحقيق د. عادل البياتي، القسم الأول دار الجاحظ، بغداد، 1976م.
- البخلاء، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ)، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف مصر، د.ت.
- بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، الألويسي (محمود شكري البغدادي (ت 1342هـ)، شرح محمد بهجة الاثري، مصر، 1924م.
- البيان والتبيين، الجاحظ (ت255هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة 1985م.
- تراث الحب في الأدب العربي، د. عادل البياتي، مجلة كلية الآداب، جامعة المستنصرية، العدد السابع، بغداد، 1983م.
- التيجان في ملوك حمير، ويضمنه (أخبار عبيد بن شريه الجرهمي) وهب بن منبه (ت110هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند ط 1، 1962م.
- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي (القرن الخامس الهجري)، تحقيق علي محمد الجاوي دار نهضة مصر، ط1، 1967م.
- الحياة العربية من الشعر الجاهلي، د. احمد محمد الحوفي، دار القلم، بيروت، د. ت.
- الحيوان، الجاحظ (ت255هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت 1969م.
- ديوان (*)
- *من المناسب ان أشير إلى إنني فضلت جمع الدواوين في حرف الدال تحت كلمة ديوان ورتبت أسماء الشعراء ترتيباً هجائياً مع الحرص على ذكر ما يتصدر الديوان مثل (شعر...) أو (شرح ديوان...) أو ما شابه ذلك يعد ذكر اسم الشاعر وإهمال ما يتصدر الاسم من كنى.

- الأعشى الكبير، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، مصر 1950م.
- امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الرابعة، مصر 1984م.
- أمية بن أبي الصلت (حياته وشعره)، د. بهجت عبد الغفور الحديثي، مطبعة العاني بغداد، 1975م.
- أوس بن حجر، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم، دار صاد، ط3، 1399هـ-1979م.
- بشر بن أبي خازم، تحقيق د. عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق، ط2، 1972م.
- حاتم الطائي، تحقيق وشرح كرم البستاني، مكتبة صادر، بيروت 1953م.
- الخطيبة، تحقيق نعمان أمين طه، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط 1، 1378هـ-1958م.
- الخنساء (شرح ديوان)، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 1140هـ-1985م.
- دريد بن الصمة، جمع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعي، دار قتيبية، 1401هـ-1981م.
- أبو دؤاد الأيادي (شعر) جمع غوستان غرويناوم (ضمن دراسات في الادب العربي، ترجمة احسان عباس وآخرين)، مكتبة الحياة، بيروت، 1959م.
- زهير بن أبي سلمى (شعر) صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق د. فخر الدين قباوة دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ، 3140هـ-1980م. الطفيل الغنوي، تحقيق محمد عبد القادر احمد، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت، 1968م.
- عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح د. حسين نصار، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1377هـ-1957م.
- عدي بن زيد العبادي، حققه وجمعه محمد جبار المعبيد، دار الجمهورية، بغداد 1965، سلسلة كتب التراث (2).
- علقمة الفحل (شرح ديوان)، تحقيق السيد احمد صقر، المطبعة المحمودية، القاهرة 1353هـ-1935م.
- عنزة، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، مطبوعات المكتب الاسلامي 1970م.
- قيس بن الخطيم، تحقيق د. ناصر الدين الاسد، اصدار، ط2، بيروت 1967م.
- كعب بن زهير (شرح ديوان) صنعة السكري (أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله (ت275هـ) ونسخة مصورة عن دار الكتب، القاهرة 1965م.

- المتلمس الضبعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، 1390هـ-1970م.
- المنقب العبدى، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد 1375هـ-1956م.
- المهلل التغلبي (حياته وشعره)، دراسة وتحقيق، نافع منجل شاهين الراجحي، رسالة ماجستير بالآلة الكاتبة، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية 1406هـ-1986م.
- النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، 1985م.
- ديوان الهذليين، نسخة مصورة عن دار الكتب، القاهرة 1384هـ-1965م.
- الرحلة في القصيدة الجاهلية، وهب روميه، اتحاد الكتاب والصحفيين، مطبعة المتوسط 1975م.
- شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزي (أبو زكريا يحيى بن علي ت 502هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1980م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ت 276هـ)، تحقيق احمد محمد شاكر، المعارف، مصر 1982م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق ت 456هـ)، حققه وعلق على حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط 2، مصر، 1955م.
- عناصر الوحدة الثقافية في الشعر العربي في عصر ما قبل الإسلام (بحث)، د. محمود عبد الله الجادر، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزءان الثاني والثالث، م 33 1402هـ-1982م.
- الغصن الذهبي، دراسة في السحر والدين، جيمس فريزر، ترجمة د. احمد أبو زيد الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1971م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت 626هـ)، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر 1375هـ-1956م.
- المفضليات (المفضل الضبي ت 178هـ)، تحقيق احمد محمد شاكر عبد السلام هارون دار المعارف، الطبعة الخامسة 1976م.
- وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية، د. نوري حمودي القيسي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل 1974م.
- الوحشيات (الحماسة الصغرى)، أبو تمام الطائي، علق عليه وحققه عبد العزيز الميمني

Abstract

From this point we refer to fire and its evidences in the stanzas of the ignorant poetry and it is an out point resembles the point that painter depends on his pictures, since it explores at the end the imagination of the ignorant poets for the idea of fire and this imagination would prove that this research refers that the ignorant poet has comprehend the other things of foundation and concluded coral meanings and united ideas explore the mentality of the poet in foundation and dismisses the excludes the specific view of this foundation that he was accused. This made me convinced of writing this research is the view of ancient people to fire from one point of view represented in the relations of Arab theoretically and mythically, so they ignored different points one of them is that they neglected the poetic stanzas and its implications, so they dealt with few stanzas while the modern as I know simply and till now I did not find an independent study dealt with this object .Thus, this study has depended on the specific syllabus which is based and analyzing the stanzas and describing them mainly.

The ignorant poets used fire and its pronunciations in their poetry and its evidences differed with the difference of the objects its names, its users, in the Arabic life before Islam. That's why the ignorant poets knew different kinds of fires they used each one for specific use expressing an insistant favour, so fire is the ideal way in this use. Ancient people said that the first one who made the fire in Musdalfa to be seen by someone who goes to Arafa and its one of the fires of Arab, so this fire is the fire of raining, coalition, fire of guards, fire of lion, fire of villages, fire of peace and fire sacrification. We conclude that fire and its evidences have represented a point of points of the Arabic religious and mythical beliefs before Islam and after the

appearance of Islam specially in Holly Quran after a lot of its holly document in communication and wisdom, so and so from the traditional beginnings that Quran has taken from fire and its evidences in which the poets depended in their experiences so fire reached till the third stage of the stages of poem which is represented in the objects of enthusiasm, pride and another objects the poet planned for them, so this research proves that fire has an artistic and objective significance made the poets to employ in their major objects till the core of their wisdoms, so they borrowed it during the making of the poetic image.